مشكلة القهوة والتدخين في الدولة العثمانية
(١٥٢٥ - ١٦٥٤م)

د. نسيبة عبدالعزيز الحاج علاوي
كلية الآداب - قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد مشكلة القهوة والدخان من المشاكل التي أثيرت على مدى قرن ونصف في الدولة العثمانية، ولاسيما أن هاتين المادتين لم تكن معروفتان للمسلمين في السابق، لذا فان ظهورها أثار مشكلة كبيرة وجدلاً على الساحة العثمانية، على مستويات عدة، من الناحية العقائدية والفقهية، فضلاً عن انعكاساتها السياسية والاجتماعية.

يعالج البحث الجدل الدائر حولها بين علماء المسلمين، الذين كانوا طرفاً رئيساً في هذا النزاع بين محرم ومحلل ولكل أتباعه ومناصريه، ثم إن لظهور هاتين المادتين انعكاس كبير على المجتمع العثماني المحافظ، ولاسيما ان المقاهي انتشرت بشكل كبير ولم تقدم القهوة والدخان فقط بل رافق ذلك بعض الأمور التي انكرها العلماء وعدوها من المفاسد لاسيما المعارف والغناء والنرد (الطاولة) والشطرنج، كل ذلك حتم على الدولة إن يكون لها موقفاً من هذا الأمر

يتناول البحث بدايات انتشار القهوة والدخان في الدولة وولاياتها، ثم يتطرق إلى جذور المشكلة لاسيما في موضوع القهوة والتي ظهرت في العهد المملوكي وورثها الدولة العثمانية مع ما ورثته من أملاك المماليك.ثم مشكلة القهوة والتدخين في الدولة العثمانية ابتداء من أول تحريمهما في العهد العثماني عام ١٥٢٥ وحتى أباحتها من شيخ الإسلام محمد بهائي أفندي (١٥٩٥–١٦٥٤) وبقيت مباحة حتى نهاية العهد العثماني وركز البحث على موقف كل

من السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) والسلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) من هذه المشكلة التي اتخذت أبعاداً سياسية ولاسيما في عهد السلطان مراد الرابع، وقد تطرقت الدراسة إلى مساجلات الفقهاء ورجال السياسة والأدب حول هذا الموضوع الذي افرز تغيرات اجتماعية وأخلاقية في المجتمع العثماني لم تكن معروفة من قبل. لذا كان رد الفعل عليها عنيفاً، فظهر الخلاف وكل ذلك من الأمور المثيرة التي شجعت على دراسة هذه المشكلة التي صاحبت ظهور هاتين المادتين.

بدايات انتشار القهوة والدخان في الدولة العثمانية على الرغم من ان تناول القهوة وتعاطي الدخان أصبح شائعاً في الدول العثمانية في القرن الثامن عشر، ألا أن هذا الأمر لم يحسم ألا بعد صراع طويل أستمر أكثر من قرن بين التحريم والتحليل، وقد أثار هذا الجدل حولها مشاكل كثيرة على المستوى الاجتماعي والسياسي وقد أثرى هذا الجدل الجانب ألأدبي ولاسيما أن أشعاراً ألفت في هذا الموضوع بين مناصر ومعاد

وبالنسبة إلى موضوع القهوة[١] (البن) فتشير المصادر أنها اكتشفت لأول مره في إثيوبيا (الحبشة)، حيثما لاحظ رعاة المواشي إن قطعانهم تظل مستيقظة طوال الليل إذا ما أكلت أوراق شجيرات البن وثمارها، ومن هناك انتقلت إلى بلاد العرب، واليمن أول بلد عربي انتقلت إليه زراعة البن ومنه انتقلت إلى أنحاء العالم[٢].

بينما يذكرالعماد الحنبلي أنها ظهرت في زمن سيدنا سليمان عليه السلام، الذي كان إذا أراد السير إلى مكان ما، ركب البساط فإذا نزل مدينة خرج أهلها تبركاً به فنزل يوماً مدينة فلم يخرج إليه أهلها فأرسل وزيره على الجن الدمرياط، فرأى أهل المدينة يبكون قالوا:نزل بنا نبي الله وملك الأرض ولم نخرج إلى لقائه، فقال ما منعكم من ذلك؟ قالوا: لأن بنا الداء الكبير، وهو داء تنفر منه الطباع خوف العدوى. فرجع وأخبر سليمان عليه السلام بذلك فدعا أبن خالته (آصف بن بارخيا) الله تعالى باسمه الأعظم أن يعلم سليمان ما يكون سبباً لشفائهم فنزل جبريل على سليمان وأخبره أن يأمر الجن أن يأتوه بثمر البن من بلاد اليمن وأن يحرقه

ويطبخه بالماء ويسقيهم إياه، ففعل ذلك وشقاهم الله ونسي الناس أمرها إلى أن ظهرت مره أخرى في أوائل القرن العاشر الهجري(٣).

ومن الجدير بالذكر أن أوربا لم تكن تعرف هذا النوع من الشراب وإنما أنتقل أليها عن طريق الدول العثمانية ويشير الرحالة ليونهارت راوولف باستغراب إلى هذا الشراب الذي يصفه مفصلاً ويصف أماكن تعاطيه وقت شربه(٤). ويعد أول انتشارللقهوة في فرنسا على يد سفيرالدولة العثمانية هناك (سليمان أغا) وكانت – في الفترة (١٦٦٩–١٦٧٠م)، وقد افتح أول مقهى في فرنسا في السنة نفسها أي في عام ١٦٦٩م(٥)

وقبل أن تصل إلى أوربا ونتعرف عليها كانت قد انتشرت في اليمن الموطن العربي الأول لها لقربها من إثيوبيا (الحبشة)، ثم انتشرت إلى بلاد الحجاز وأصبحت الحجاز المورد الأساسي لهذا النوع من المشروب إلى مختلف البلاد العربية وبشكل خاص إلى بلاد الشام، التي منها أثيرت قضية الخلاف في مسألة تحليل أو تحريم شرب القهوة، وكانت القهوة قد انتشرت في أول الأمر في بلاد الشام الجنوبية ومنها إلى حلب ثم إلى استانبول(٦).

انتشرت القهوة على يد مشايخ من الطرق الصوفية، وفيما يتعلق بانتشارها في اليمن فتشير المصادر إلى الشيخ علي بن عمر الشاذلي (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) الذي زار الحبشة لنشر الطريقة الشاذلية وتعرف هناك على القهوة، وكذلك نسبت إلى الشيخ جمال الدين أبي عبدالله بن سعيد الذبحاني (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م) الذي كان يقوم بتصحيح الفتاوى في عدن، وزار الساحل الأفريقي المقابل لها فوجد سكانه يستعملون شراب القهوة، فاستحسن ذلك واخذ وشرب القهوة بعد رجوعه إلى عدن، وعندما أصبح هذا الشخص من المتصوفة أقبل هو وأتباعه على شربها لتعينهم على السهر فاشتهر أمرها بين الصوفية والفقراء، ومنها انتشرت إلى الشمال عن طريق البحر الأحمر إلى مصر وغيرها(٧).

ومن اليمن انتشرت في الحجاز ونجد ومناطق الجزيرة العربية الأخرى، وفي السنوات العشر ألأولى من القرن السادس عشر ظهرت لأول مرة في مصر حيث اخذ اليمانيون يتعاطونها في رواقهم بالأزهر ومنه انتقلت إلى سائر الأروقة واخذ الشيوخ يشربونها ليلة كل اثنين وجمعة

لتساعدهم على السهر أثناء حلقات الذكر وكانوا يضعونها في إناء كبير من الفخار الأحمر ويسقيهم نقيبهم وهم يردون (لا اله ألا الله الملك الحق المبين)(٨).

إما في بلاد الشام فقد انتشرت على يد الشيخ ابوبكر بن عبدالله الشاذلي المعروف بالعيدروسي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م) الذي قدم من اليمن إلى دمشق وبقي فيها إلى إن توفي ويذكر انه قد تعرف على ثمرة القهوة إثناء تجواله فيها متنسكا زاهداً، وبعد إن جربها ارشد إتباعه إلى تعاطيها لما تحمله من مزايا تعين على العبادة فهي منشطة للبدن تعين على السهر وقد سمي العيدروسي بـ (مبتكر القهوة)(٩).

وأصبحت هذه الصلة وثيقة بين القهوة والطرق الصوفية ولاسيما الطريقة الشاذلية أصبحت وطيدة إلى حد إن اسم القهوة أصبح يرتبط بشكل وثيق بالشاذلي نفسه، فتسمى القهوة في الجزائر (الشاذلية)، بينما نجد في ضواحي دمشق إلى مطلع القرن العشرين ان صاحب البيت حين يأخذ أبريق القهوة من على النار يسكب الفنجان الأول على الأرض لأنه حصة الشاذلي لاعتقادهم إن الشاذلي هو الذي ابتدع القهوة أو هو أول في شربها وإنهم إذا لم يريقوا الفنجان الأول على الأرض ينقلب ألإبريق وتراق القهوة حتماً(١٠).

وقد تصادف تقريباً وصول القهوة وانتشارها في بلاد الشام مع دخولها تحت السلطة العثمانية ووصلت في عام٩٥٠هـ/١٥٤٣م إلى عاصمة الدولة العثمانية،ألا أن المقاهي لم تنتشر فيها حتى عام ٩٦٣هـ/١٥٥٥م على يد رجلين قدما إلى استانبول أحدهما من حلب ويدعى (بحكم) وألآخر من دمشق ويدعى (شمس) وكلاهما فتح دكاناً واسعاً في الحي المسمى (تخت القلعة) ليقدما القهوة فيهما(١١).

أما عن الدخان وانتشاره في الدولة العثمانية فيختلف أمره عن القهوة، فإذا كانت القهوة قد ظهرت في البلاد العربية وانتقلت إلى أوربا عن طريق العثمانيين، فأن الدخان انتقل إلى العالم الإسلامي من الغرب، والدخان هو الناتج عن حرق مادة التبغ وهو نبات يعرف بهذا الاسم، وانتشر هذا النبات في القارة الأمريكية (العالم الجديد)، وقد أطلق ألأسبان الذين اكتشفوا هذه القارة عام ١٤٩٣م على أوراق نباتات خاصة أسم (توباكو)(١٢). وأطلق اسم التبغ

وهو تسمية معربه عن الأصل (توباكو)، على أوراق هذه النباتات بعد معاملتها صناعياً وبطرق عديدة وتخميرها وتجفيفها ثم تقطيعها تمهيدا لتدخينها مباشرة أو بعد صنعها بشكل سيكار أو استنشاقها كسعوط وهناك أنواع عديدة من نبات التبغ(١٣).

استعمل سكان أمريكا ألأصليون التبغ في احتفالاتهم وطقوسهم واعتقدوا بوجود خواص دوائية طبية نافعة في التبغ، وقد كان لهذا ألاعتقاد دور مهم في انتشار عادة التدخين بين الأوربيين المهاجرين إلى أمريكا وأقدامهم على نشره وزراعته في أماكن مختلفة من العالم(١٤).

أما عن وصوله إلى الدول العثمانية، فتشير المصادر إلى نوع آخر من التبغ وهو (التبغ البري) موطنه في تركيا الحالية والمناطق المجاورة وهو ذو تركيز عال من المواد المضرة، ولا يعلم بالضبط إذا ما كان قد وصل إليها من العالم الجديد عن طريق أوربا أم انه وجد أصلاً فيها، ويعتقد إن عادة التدخين دخلت إلى البلاد العربية عام ٩٩٩هـ/١٥٩٠ عن طريق تركيا، وقد قال شاعر مجهول البيتين التاليين

سألوني عن الدخان وقالوا ... هل له في كتابنا ايماء
فقلت مافرط الكتاب بشيء ... ثم أرخت يوم تأتي السماء

وإذا ما حولت أحرف الكلمات الثلاثة الأخيرة من الشطر الثاني من البيت الثاني وهي الكلمات التي وردت في الآية الكريمة من سورة الدخان ﴿◻♦✍✍❻⬀✍♦➁☞🖫⬄
③♦❑⬀⚐♦✍♦🕯◻✌⊘❼✂✍✍☎○○☺⊠✍✎↗↓📪⊘⑨←❀♦🔔♌🗄
✋⑩⌨⊘✓✗🕮⇯⇰⇱⇲﴾، لنتج الرقم ٩٩٩ وأراد به الشاعر تاريخ دخول الدخان إلى البلاد العربية(١٥).

إذا ما سلمنا بهذا الأمر فدخوله إلى الدولة العثمانية قبل عام ١٦٠٠م الذي أشارت إليه بعض المصادر إذ يذكر برنارد لويس نقلاً عن المؤرخ إبراهيم بجوي أنه أدخل بواسطة التجار ألإنكليز من المستعمرات ألأمريكية عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠–١٦٠١م فباعوه أول ألأمر علاجاً لأمراض الرطوبة ثم أستعمله الناس بل وقع كثير من كبار العلماء أسرى إدمانه(١٦).

وعلى هذا فأن معرفة العثمانيين للدخان لاحقة على معرفتهم بالقهوة التي سبقت بما يقرب القرن من الزمان وأن ترادف أسم القهوة مع الدخان ولاسيما أنهما كانا يقدمان في المقاهي (القهوة خانه)، ولا توجد لدينا معلومات تفصيلية عن أماكن انتشاره في الدولة العثمانية ألا أن الراجح أنه انتشر بشكل كبير في استانبول ومنها إلى البلاد العربية، بعكس انتشار القهوة، ولهذا فأن مشكلة التدخين بدأت في مركز الدولة

جذور المشكلة في نهاية العهد المملوكي:

أثار انتشار القهوة في الحجاز ومصر وبلاد الشام الكثير من الخلاف بين العلماء والفقهاء، وأدى إلى تراكم نتاج فقهي وأدبي كبير حول هذا الموضوع، وجعل الأمر مشكلة فقهية فضلاً عن أنها سياسية اجتماعية لاسيما ما نتج عن ظهور القهوة من انتشار بيوت القهوة (المقاهي) وهو ما أوجد تغييرا اجتماعيا كان له أنصاره ومحاربوه في العهد المملوكي واستمر هذا الخلاف لترثه الدولة العثمانية ولاسيما بعد أن انتشر أمر القهوة في بلاد الشام التي دخلت في حوزة الدولة العثمانية بعد معركة مرج دابق عام ٩٢٢هـ /١٥١٦م، ومن الطبيعي أن تثار المشاكل حول المشروب الجديد وقد الفت رسائل عديدة أوضحت طبيعة السجال الذي دار بين المعارضين والمؤيدين كما جادت قرائح الشعراء في مدح وذم القهوة على حد سواء.

تشير المصادر أن أولى المشاكل التي أثيرت حول القهوة كانت في مكة المكرمة على عهد السلطان قنصوه ألغوري (١٥٠٠-١٥١٦)، الذي كان قد عين خابر بك ناظراً على الحبشة في مكة حيث رأى في طريقه ليلة ٢٣/٢٢ من ربيع ألأول ٩١٧هـ/١٥١١م، خلال طريقه من الكعبة إلى بيته جماعة تحتفل بالمولد النبوي ووجد بينهم شراباً يتعاطونه على هيئة الشربة الذين يتناولون المسكر ومعهم كأس، فسأل عن الشراب فقيل له: هذا شراب أتخذ في هذا الزمان وسمي القهوة يطبخ من قشر حب يأتي من بلاد اليمن يقال له البن، وأن هذا الشراب قد فشا أمره بمكة وكثر وصار يباع فيها على هيئة الخمارات ويجتمع عليه الناس بالرهن وغيره بما يخالف الشريعة ألإسلامية[١٧]. وهذه المخالفات الشرعية التي صاحبت انتشار

تعاطي القهوة هي التي أقلقت القائم على الحسبة خاير بك، لذلك أراد أن يستجلي رأي علماء المسلمين في هذا ألأمر، ومنهم قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي والقاضي نجم الدين بن عبد الوهاب المالكي والشيخ شهاب الدين فاتح البيت الحرام والشيخ عبدالله اليماني الحضرمي والشيخ عبد النبي المالكي المغربي وغيرهم لمناقشة أمر هذا الشراب، وقد أتفق العلماء على التمييز بين القهوة نفسها وما صاحب شربها من مظاهر وأحوال، فأفتوا بان اجتماع الناس على هذه الهيئة حرام يجب إنكاره على كل قادر عليه، أما الحب المسمى البن فحكمه حكم النبات والأصل فيه الإباحة لقوله تعالى في سورة البقرة ﴿♎➔❑◆ ✂️ ✍︎ ⧫ ✎ ⍾ ♎ ❽
▪☠➔⚐ ✡➔❿♎☺⍓♉ ⮰⮟⬀❻☛❀ ✂ ❼♐✖ ❑✋☠↗▤♦⍝ ✡■▣⍓❀
♎↗✎⍓☺○○⍝ ✂ ❼■🖫♐◗ ✂❽◆❑⧫☝⬄⍧ ✂
◆❑➔♎◆❑ 🗐 ▬☠🕓◆❑🕓⍓☺⍓⍧ ⍓➚⬀⌨⍓⍧ ⦿♊←♑🗁▪❑✽○⬩▫
⍃☹➚♐▣⧫⬊ ⍟↗⬄⊘☒★ ⮳♏✍↗▤♐📪﴾ ولكن ترك الأمر للأطباء أن يقروا فيما إذا كان مشروب القهوة مضر للبدن أو العقل فكان رأي الأطباء بمكة وهما نور الدين احمد العجمي الكازواني وأخوه الشيخ علاء الدين الكازواني، أن المشروب بارد يابس مفسد للبدن المعتدل[١٨].

لقي هذا ألأمر الذي وصل أليه العلماء بعض المعارضة بحجة أن البن مباح ومفيد ولاسيما أنه محرق للبلغم، فكان الرد على هذا الرأي بأنه حتى لو كان مباحاً فقد جر إلى معصية وكل طاعة جرت إلى معصية سقطت، لذا منع خاير بك تعاطي هذا المشروب في مكة في ٢٨ربيع ألأول ٩١٧هـ /١٥١١م، بل وأرسل إلى القاهرة بهذا ألأمر فاصدر السلطان ألغوري مرسوماً جاء فيه: (أما القهوة فقد بلغنا أن أناساً يشربونها على هيئة شرب الخمر ويخلطون فيها المسكر ويغنون عليها بالآلة ويرقصون ويتمايلون ومعلوم أن ماء زمزم إذا شرب على هذه الهيئة كان حراماً فليمنع شرابها من التظاهر بشربها والدوران بها في الأسواق)[١٩].

ومن خلال نص مرسوم السلطان ألغوري نجد أنه لم يحرم هذا المشروب، بل منع التظاهر بشربه وهو ما يعني منع تناوله في ألأسواق وفي محلات خاصة وإذا تناوله الشخص في بيته فلا ضير في ذلك، لاسيما أن هناك خلاف بين العلماء في أمرها فقد كان في مكة من يعارض قرار ناظر الحسبة خاير بك وهو الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعي مفتي مكة ومدرسها الذي دافع عن القهوة، وفي مصر تقلب الشيخ زكريا ألأنصاري[٢٠] (١٤٢٠–

١٥٢٠) في موقفه بين التحريم والتحليل فبعد أن حرمها رجع عن تحريمه بإباحتها بعد اختيارها وقد صنف في ذلك رسالة قاطعاً فيها بالحل[٢١].

أما قاضي القضاة أبن الشحته الحلبي (١٤٤٧–١٥١٥) الذي درس في القاهرة وتولى القضاء فيها فقد أفتى بتحريم القهوة[٢٢]. وهذا التناقض كما أسلفنا في أمر القهوة هو الذي جعل السلطان ألغوري يصدر مرسوماً معتدلاً بشأنها مع مراعاته تجنب ما صاحبها من أمور محرمه بل وأصدر فيها حكماً قاطعاً. وقد ظل الأمر سجالا في هذا الشأن حتى أصبح مشكلة اجتماعية – سياسية فضلاً عن كونها خلافاً فقهياً، ومع تولي الدولة العثمانية زمام الأمور في المشرق العربي ترت هذه المشكلة مع ما ترثه من تبعات أخرنترتبت على تواجدها في المنطقة، ومن اللافت للنظرأن هذه المشكلة سرت إلى قلب الدولة العاصمة استانبول لتصبح مشكلة الدولة بعد أن كانت محصورة في مناطق محدودة منها.

مشكلة القهوة والتدخين في الدولة العثمانية:

إذا كانت مشكلة القهوة كما أسلفنا قد بدأت في نهاية العهد المملوكي وفي الحجاز ومصر بالتحديد، فأنها في العهد العثماني بدأت أيضا في الحجاز وانتقلت إلى بلاد الشام ومنها إلى استانبول وكانت هذه المرة أكثر حدة من السابق، أما مشكلة الدخان فتأخرت عنها كثيراً، لأن دخوله إلى الدولة العثمانية تأخر إلى بداية القرن السابع عشر، وأصبح مشكلة وجب علاجها في عهد السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣–١٦٤٠) لأسباب تتعلق بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدولة على عهد السلطان مراد الرابع.

وفيما يتعلق بالقهوة، فأن المشكلة ظهرت في الحجاز على عكس ما ذهبت أليه المصادر التي أشارت إلى أن المشكلة بدأت في بلاد الشام في ٩٥٢هـ/١٥٤٥م[٢٣].إذ كانت الشرارة ألأولى لهذا الخلافات حول المشروب في مكة أيضا، فقد أفتى الشيخ العالم محمد بن عراق الكناني الشافعي[٢٤] (ت٩٣٢هـ/١٥٢٥م)، بمنع القهوة وأشار على حاكم مكة بمنع شربها في البيوت المعروفة بـ (بيوت القهوة) (المقاهي)، بل أنه حاول منع بعض العلماء ممن

كانوا يتعاطونها ويقولون بتحليلها ومنهم: الشيخ احمد بن عبد الغفار المالكي (ت١٠٠٩هـ/١٦٠٠م) ويصفه العيدروسي بأنه من أهل العلم والصلاح متبعاً للكتاب والسنة سالكاً نهج السلف الصالح متصفاً بالعفاف وله جملة مصنفات منها رسالة في القهوة[٢٥]، وقد طلب الشيخ بن عراق من الشيخ احمد بن عبد الغفار أن يترك شرب القهوة فيما بين الناس ويشربها في خلوة فرد عليه بقوله: اما ماأمرتني به من ترك شرب القهوة فيما بين الناس فكان ألأولى أن تأمرني بعكس ذلك[٢٦]. ومن الجدير بالذكر أن الحكيم بدر الدين محمد القوصي وهو من المعاصرين للشيخ محمد بن عراق كتب عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م بتحليل القهوة وذكر جانباً من فوائدها[٢٧].

وإذا كانت المشكلة في العهد العثماني بدأت في الحجاز وتحديداً في عام ٩٣٢هـ/١٥٢٥م، فأنها لم تنته بموته فهناك شيخ ألإسلام ابن باكثير المكي (١٤٩٩-١٥٨١م) وهو من علماء الحديث، وقد اشتهر بتعاطيه القهوة والقول في حلها، وله إشعار في ذلك منها[٢٨].

أهــلا بصــافي قهــوة كالأثمــد — جليــت فزانــت بالخــمار الأســود
لمــا أديــرت فــي كــؤوس لجينهــا — بيمــين ســاقٍ كالقضــيب الأملــد
يحكــي بيــاض إنائهــا وســوادها — طرفــاً كحــيلا لا بكــحل المــرود

ومن علماء مكة الذين تعاطوا القهوة وأباحوها الشيخ محمد البكري ألصديقي (٩٩٣هـ/١٥٨٥م) وله أيضاً أشعار فيها[٢٥].

أقــول لمــن ضــاق بــالهم صــدره — وأصبح من كثر التشاغل في فكر
عليــك بشــرب الصــالحين فأنــه — شراب طهور سامي الذكر والقدر
فمطبوخ قشر البن قد شاع ذكره — عليك به تنجو من الهم في الصدر
وخل ابن عبد الحق[٢٠]يفتي برأيه — وخذها بفتوى عن ابن الحسن البكري

وممن قال بإباحة القهوة الشيخ علي بن محمد وهو ابن الشيخ محمد بن عراق وهو من اشد مناصري القهوة وبذلك اختلف عن أبيه الذي عارضها ومنع تعاطيها في ألاماكن العامة، وقد سؤل الشيخ علي بن محمد عن رأيه في القهوة من العالم رضي الدين محمد الحسن المعروف (بابن الحنبلي) (ت٩٧١هـ /١٥٦٣م) الذي أورد سؤاله شعراً:

أيهــا الســامي لكلتــا الــذروتين — بجــوار المصــطفى والمروتــين
افتنــي فــي قهــوة قــد ظلمــت — حيثمــا شــئت تعاطيهــا بشــين

فأجاب عن ذلك بفتوى حلل فيها شرب القهوة ألا أنه اشترط على ولاة ألأمر أن ينكروا ما صاحبها من أمور محرمة وجاءت الفتوى شعراً حيث قال[٣١].

فعلـــى ذي ألأمـــر إنكـــار الـــذي   شـــابها حتـــى يصـــفي دون ريـــن
فــــإذا لـــــم يســـــتطعه دون أن   يمنـــع ألأصـــل ففعـــل منـــه زيـــن
والتـــداني فـــي حماهـــا وهـــي فـــي   وصـــفها المـــذكور شـــين أي شـــين

وقد قرر أن تعاطي القهوة فيه فوائد كثيرة منها أنه يعين على العبادة والسهر وذكر ذلك بقوله:

والصـــفا فـــي شـــربها مـــع فئـــة   أخلصـــوا التقـــوى وشـــدوا المئـــزرين
ثـــم نـــاجوا ربهـــم جـــنح الـــدجى   بخشـــــوع ودمـــــوع المقلتـــــين

وأباح القهوة االابن الآخرللشيخ محمد بن عراق وهو الشيخ عبد النافع بن محمد بن عراق وكان كما يقول العيدروسي عالما فاضلاً فصيحاً بليغاً ذا أدب وظرف ومُلح ولطف، وله أشعار مدح فيها القهوة وأباحاها ومنها قوله[٢٣].

هـــــذه القهـــــوة هـــــذه   ليســـــت المنهـــــي عنهـــــا
كيـــــف تـــــدعى بحـــــرام   وانـــــا اشـــــرب منهـــــا

وقوله:

لشارب القهوة البن التغادي   فِسرُ شرابها في الكون بادي
لها عرف العنابر في ألأيادي   ولون المسك تشرب بالزبادي

وقد اقتصر موضوع الخلاف بشأن القهوة في بلاد الحجاز على بعض السجالات الفكرية بين الفقهاء والادباء الذين اثروا التراث الفقهي والادبي بمصنفاتهم حول هذا الموضوع بين محرم ومحلل وتناولوا وصف القهوة ومجالسها في اشعارهم، ويمكن القول أن هذا الخلاف

أتسم بالهدوء ولم يأخذ أبعاداً أخرى كما حصل في بلاد الشام التي تحولت منها المشكلة والخلافات فيها إلى قضية عامة للدولة مما أعطاها بعداً سياسياً – اجتماعياً فضلاً عن إبعادها الفقهية، وكل ما أحدثته في الحجاز وحتى مصر فضلاً عما ذكرنا تغيرات اجتماعية تمثلت بظهور (المقاهي) واعتبارها مراكز تجمع ولقاءات اجتماعية وثقافية نظرت إليها الدولة بريبة في الفترات اللاحقة.

أما في مصر فقد بدأت فيها المشكلة في العهد العثماني عام ٩٣٩هـ/١٥٣٢م عندما أفتى الشيخ شهاب الدين احمد عبد الحق السنباطي[٣٣](ت ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) بتحريم القهوة، ولاسيما أنه سؤل من احد تلاميذه عن القهوة وقد عرض عليه السؤال كالأتي: ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه جماعة ليشربوه ويزعمون أنه مباح مع أنه يترتب عليه مفاسد كثيرة، فهل ذلك جائز أم حرام، فأجاب أنها حرام لأنها مسكرة[٣٤].

هذه الفتوى أخذت بعداً خطيراً بعد سنتين من اصدارها أي في ٩٤١هـ/١٥٣٤م، حين جدد الشيخ فتواه بحرقها في مجلسه بالأزهر إمام جماعه من عامة الناس فلما سمعوا بها من الشيخ خرجوا إلى المقاهي دون أذن فكسروا ألأواني وضربوا من كان فيها، مما أثار فتنه كبيرة بين أنصارها ومنكروها لذلك لزم الأمر الاحتكام إلى قاضي مصر آنذاك الشيخ محمد بن ألياس الحنفي، فسأل عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتين بحلها، ثم أستظهر الأمر بطبخها في منزله وسقى منها جماعات بحضرته فلم يرفيهم تغييرا ولا شيئا منكرا فأقرها على حالها[٣٥].

بقيت القهوة بعد هذه الفتوى مباحة في مصر وزاد انتشارها في زمن الوالي خسرو باشا (١٥٣٤–١٥٣٦) وتذكر المصادر أنه اهتم بشكل كبير في أمور الولاية وكان يتجول في ألأسواق بنفسه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فزاد الخير في البلاد وانخفضت الأسعار وزاد مقدار ألإرسالية إلى استانبول إلى الضعف[٣٦].

وبعد أنتهاء ولاية خسرو باشا وفي عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م أي في عهد أمير ألأمراء داؤد باشا[٣٧] (٩٤٤–٩٥٦هـ)، عاد موضوع الجدل حول القهوة وقد كانت الغلبة لأنصار

التحريم بعد أن أمتلأت القاهرة ببيوت القهوة، وفي العام المذكور وفي شهر رمضان بعد ألإفطار جاء رئيس الشرطة فأخرج الناس من المقاهي وساقهم مكبلين إلى المخفر وفي الصباح أطلق سراحهم بعد أن جلد كل واحد منهم سبع عشرة جلدة[٣٨].

وكما أسلفنا فان الأمر والى حد هذا التاريخ يقي محصوراً في نطاق الولايات، الوالي والقضاة، والفقهاء وإذا كان من تبدل في المواقف من القهوة فان سببه تغير مواقف هؤلاء، وعولجت المشاكل الناجمة عن هذا الموضوع في الولاية، ولم تصبح مشكلة عامة في الدولة ألا بعد أن امتدت لتطال فضلاً عن مصر والحجاز بلاد الشام، ومن هناك أصبحت قضية شارك مركز الدولة بالجدل الدائر حولها وأخذت القضية أبعادا أخرى تدخل فيها السلطان بنفسه.

كان دخول القهوة إلى بلاد الشام على يد عدد من علماء مكة المكرمة من أنصار القهوة، وفهم بديع ابن الضياء (ت٩٤١هـ/ ١٥٣٤م) قاضي مكة وشيخ الحرم، الذي يذكر الحنبلي نقلاً عن ابن طولون المؤرخ الدمشقي (ت٩٥٢هـ/١٥٤٥م) أنه كان من أهل الفضل والرياسة وهو أول من عرف أهل دمشق على القهوة إثناء زيارته لدمشق وأقامته فيها مدة من الزمن، فقد حضر ابن الضياء المولد النبوي عند الشيخ علي الكيزواني (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م - ٩٥٢هـ /١٥٤٥م) من شيوخ الطريقة الشاذلية، وشرب القهوة مع جماعة ممن حضر المولد، ويذكر ابن طولون ولا أعلم أنها شربت في بلادنا قبل ذلك[٣٩].

وإذا كان بديع بن الضياء قد توفي ١٥٣٤م فمعنى ذلك انه شربها في دمشق قبل هذا التاريخ، بينما تشير المصادر إلى إن من اشاع شرب القهوة في دمشق هو الشيخ علي بن محمد الشامي من علماء الحجاز (هو نفسه الشيخ علي بن محمد بن عراق المارالذكر) ذهب إلى ألأناضول وعاد إلى دمشق سنة ٩٤٦هـ/١٥٣٩م فاشهر شرب القهوة فيها وتابعه الكثيرين فانتشرت حوانيتها[٤٠]. ومما سبق نستنتج انه وان كان الشيخ بديع ابن الضياء قد شربها في دمشق قبل ١٥٣٤، ألا أنها لم تنشر على نطاق واسع وتشرب في بيوت خاصة بها (المقاهي) في دمشق إلا بعد عام ١٥٣٩م. ومما دعم هذا الموقف وصول العالم المكي ابن أبي كثير (ت٩٤٩هـ/١٥٤٢م)، الذي كان من أنصار القهوة وقال بإباحتها بل إن له أشعاراً في مدحها منها[٤١]:

قهوة البن مرهم الحزن وشفا ألأنفس

فهي تكسو شقائق الحسن من لها يحتسي

وكذلك أباحها الشيخ أبو الفتح المالكي (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م) وهو عالم في الفقه واللغة وتولى القضاء والإفتاء ويذكر انه شاعر له أشعار كثيرة في الهجاء[٤٢]، وقد عارض هذا ألأمر عدد كبير من العلماء منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عمر بن سلطان الدمشقي ألصالحي (٨٧٠-٩٥٠هـ /١٤٦٥-١٥٤٣م) والشيخ يونس العيثاوي (٨٩٨ - ٩٧٧هـ/١٤٩٢-١٥٦٩م) الذي حرم القهوة بل ودعا إلى تدخل الدولة في هذه المسألة ومن هنا تأخذ قضية القهوة أبعاداً أخرى وقد عزز وصول الشيخ محمد بن عبد ألأول الحسيني[٤٥] قاضياً إلى دمشق عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م هذا الأمر، إذ انضم الشيخ المذكور إلى معارضي القهوة وأصدر أمرا بإبطالها في عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م ولم يكتف بذلك بل عرض الأمر على السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦)، الذي عرض ألأمر على شيخ ألإسلام أبو أسعود أفندي[٤٦] (٨٩٧-٩٨٢هـ/١٤٩١-١٥٧٤م)، فأفتى بتركها حذراً من التشبه بالفجار ولاسيما اجتماع الفسقة على أدارتها وعلى الملاهي والملاعب وعلى ألغيبه والنميمة فانه حرام بلا شك كما يقول، بل تشدد في موضوع القهوة إلى حد كبير وأصدر أوامره بخرق السفن المحملة بالقهوة بل وإغراقها، واستناداً إلى فتوى أبو أسعود أصدر السلطان أمرا بإبطالها في شوال ٩٥٣هـ/تشرين الثاني ١٥٤٦م[٤٧]. وهذا الأمر دعم موقف القاضي الحسيني وأنصاره.

وحذا قاضي القدس خذو القاضي الحسيني في مسالة القهوة فطلب من السلطان إصدار أمر بمنع القهوة في لواء القدس وعلل ذلك بزيادة ألإقبال على (بيوت القهوة) والانصراف عن (بيوت الله)، وقد وصل عدد بيوت القهوة في القدس عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م إلى خمسة،وقد تجاوب السلطان سليمان القانوني مع هذا ألأمر كما في دمشق وأصدر مرسوماً في ١٠ جمادى ألأولى ٩٧٣هـ/٣ كانون ألأول ١٥٦٥م هذا نصه[٤٨].

" لقد أرسلتم كتاباً ذكرتم فيه انه منذ أقدم ألأزمان لم نعرف القدس ما يسمى بيت القهوة (القهوة خانة) وان ألأهالي متمسكون بدينهم مواظبون على صلواتهم الخمس وانه قد فتحت مؤخراً خمسة بيوت للقهوة في خمس أماكن وان هذه أصبحت أماكن لتجمع اللوندات(٤٩)، والأشرار الذين لا يكفون ليل نهار عن التصرف بإزعاج وخبث وعبث ويبعدون المسلمين عن ورعهم ودينهم المقدس ولذا من الضروري حسب رأيكم أقفال وإغلاق واستئصال بيوت القهوة في هذا المكان المقدس، ولقد أمرت ألآن بإقفال واستئصال بيوت القهوة في هذا المكان المقدس وأصدرت أوامري بان تتولوا شخصياً هذا ألأمر وان تزيلوا بيوت القهوة وعليكم ألآن ألا تتركوا في مدينة القدس أي مكان يمكن أن يسمى (بيت القهوة) وألا تدعوا الأهالي يجتمعون هناك بل عليكم إن تمنعوا وتحولوا دون ذلك وان تكتبوا وترسلوا لسدة سعادتي أسماء الذين لا يحترمون هذا المنع "

من خلال المرسوم نجد إن السلطة المحلية والسلطة العثمانية بشكل عام كانت تنظر بريبة إلى (بيوت القهوة) ولاسيما أنها كما جاء في المرسوم أصبحت مقراً لتجمع العابثين مثيري الفتن، وهذا اعطى للامر بعدا سياسيا . دينيا حين ربط عمل هؤلاء بإفساد المسلمين وإبعادهم عن دينهم، وارتبطت أيضا هذه المسألة بتغيرات اجتماعية طرأت على المجتمع العثماني بشكل عام فبعد إن كان الناس يتحلقون في حلقات العلم في المساجد أصبحوا يجتمعون للتسلية واللهو في هذه المقاهي التي تعج بألوان التسلية من قهوة ودخان ومعازف وشطرنج، بل أماكن لتجمع الشعراء، كذلك نشا لون أخر من ألوان التسلية وهو ما عرف فيما بعد (بالحكواتي) وهو قاص للحكايات الشعبية.

ومع وجود هذا المنع ألا أن السجال حول القهوة بقي مستمراً بل تصاعدا الخلاف بين العالمين أبو الفتح المالكي ويونس العيثاوي الماري الذكر ولاسيما في عهد والي دمشق لالا مصطفى باشا (١٥٦٣–١٥٦٨م) الذي كان من أنصارها فأباح تناولها وإنشاء المقاهي العامة، ويروي ألغزي أن هذا الوالي كان غشوما سفاكا ألا أنه يحترم العلماء ويعظمهم، ويذكر أن لالا مصطفى صلى الجمعة في الجامع الجديد خلف الشيخ يونس العيثاوي مع حاشيته، فتعرض الشيخ العيثاوي لظلم هذا الوالي وأعلن حرمة شرب القهوة، فغضب لالا مصطفى وعقد مجلساً

للعيثاوي حضره الشيخ أبو الفتح المالكي من أنصار القهوة، ألا أن قاضي دمشق أنصف الشيخ العيثاوي(٥١). ومع وفاة الشيخ يونس العيثاوي رجحت كفة المؤيدين للقهوة وانتشرت بشكل كبير، ولاسيما مع تولي دمشق سنان باشا (١٥٨٦–١٥٨٧) والذي كان من الذين يتعاطون القهوة بل أنه فتح في دمشق ثلاث مقاهي وأوقفها على بعض المنشآت الخيرية، كما أنه عقد مجلساً لخطيب الجامع الجديد في دمشق والذي كان يقول بتحريم القهوة، وحاول إلزامه بالقول بحلها ألا أنه رفض ذلك وأصر على موقفه(٥٢).

أما مشكلة القهوة في مركز الدولة فقد تاخر ظهورها وأن انشغلت بها الدولة لانتشارها في بقية ولاياتها ولاسيما بلاد الشام، وعلى الرغم من ان الفهوة وصلت إلى استنبول عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، أي قبل أن يصدر فيها شيخ ألإسلام أبو أسعود فتواه بثلاث سنوات، ألا أنها لم تثر مشكلة لأنها لم تنشرعلى نطاق واسع الا في عام ٩٦٣هـ/١٥٥٥م بدأت المقاهي كما أسلفنا، وقد كانت في هذا التاريخ المذكور في استنبول مقهيين فتحا على يد شخصين من بلاد الشام، فأصبحا موضعا لاجتماع الباحثين عن المتعة والعاطلين عن العمل وبعض رجال ألأدب فكان يشربون القهوة ويلعبون النرد والشطرنج، وأخذ هؤلاء يزدحمون على هذين المحلين بحيث لفت أنظار العلماء الذين بدأوا يحذرون منها ولاسيما أن الناس كما يقولون أصبحوا يدمنون على المقاهي وابتعدوا عن المساجد(٥٣). وسمو المقاهي دار ألأفاعيل الشريرة وعدوا الذهاب إلى الحانة أهون من الذهاب إليها، فأصدروا الفتاوى ضدها (٥٤)، واعتمدوا على فتاوى أبو السعود في هذا الشأن والذي كان من اشد المعارضين لها حيث أمر بثقب السفن المحملة بالقهوة وإغراقها(٥٥). واستناداً إلى فتوى أبو السعود منعت القهوة في مركز الدولة وولاياتها.

سار السلطان سليم الثاني (١٥٦٦–١٥٧٤م) على نهج والده في هذا ألأمر وتشير المصادر أنه أصدر حكماً سلطانياً في شعبان ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م يقضي بمنع المنكرات والمسكرات والمحرمات وغلق أبواب الحانات والخانات ومنع استعمال القهوة والمجاهرة بشربها وهدم كوانينها وكسر أوانيها وقد نفذ هذا ألأمر وشدد على باعتها وضربوا وأشهروا، وهدموا بيوت القهوة وكسروا أوانيها(٥٦). وأرسل هذا ألأمر إلى كافة ولايات الدولة ولاسيما التي

ظهرت فيها تلك المشكلة بشكل كبير، وإذا كان السلطان سليم الثاني لم يستند إلى فتوى العلماء في إصدار هذا ألأمر السلطاني فذلك لأن هناك فتوى أصدرها شيخ ألإسلام أبو السعود أفندي على عهد والده السلطان سليمان القانوني.

أما في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤–١٥٩٥م) فتشير بعض المصادر إلى تساهله في أمر القهوة ونسبت إليه تعاطي القهوة، لذا انتشرت المقاهي بشكل كبير حتى تعاطاها العلماء وكبار رجال الدولة وتساهل العلماء في أمرها حتى أصدر شيخ ألإسلام بوستان زاده محمد أفندي (١٥٣٥–١٥٩٨)– تولى المشيخه مرتين (١٥٨٩–١٥٩٢)و(١٥٩٣–١٥٩٨)– فتوى لصالح أنصار القهوة فأصبحت بذلك مباحة[٥٧]. حتى أن أصحاب المقاهي لم يتورعوا عن السفر إلى استنبول للاحتجاج على إغلاق مقاهيهم، وقد وقفت الدولة إلى جانبهم وأعادت فتح مقاهيهم ومنعت التدخل في شؤونهم[٥٨]. ألا أن المؤرخ العثماني إبراهيم بجوي الذي ينقل عنه برناد لويس أن السلطان مراد الثالث كان متشدداً في منع المنبهات والمحرمات، ألا أن هناك من اتصل برئيس الشرطة وقائد الحرس حول إباحة القهوة في ألأبواب الخلفية والأزقة الفرعية والدكاكين الصغيرة غير البارزة فسمح لهم بذلك، ألا أنها أصبحت في عهده كثيرة الانتشار حيث ألغي المنع[٥٩].

ارتباط مشكلة القهوة مع التدخين:

بعد هذا التاريخ أي بداية القرن السابع عشر يرتبط موضوع التدخين مع القهوة في المشكلة التي بدأت ألان في مركز الدولة العثمانية، ونلاحظ أن مشكلة الدخان تأخرت عن مشكلة القهوة ما يقرب القرن لأنها لم تظهر في بلاد المسلمين ألا في بداية القرن السابع عشر، ومنذ أن ظهرت بدأت الدولة بمعارضة انتشار هذه المادة.

ولجأ كثير من الناس الى تعاطيه كما في القهوة من الباحثين عن المتعة وأصبحوا مدمنين له وسرعان ما وقع كثير من العلماء وأعاظم الرجال أسرى إدمانه، وكانت المقاهي تملأ بدخان أزرق بسبب التدخين ا لمستمرفيها للنرجيلة (الشيشة) إلى حد انه لم يكن يستطع أولئك الذين يكونون فيها إن يرى بعضهم وجه بعض وأنهم بنفخ الدخان جعلوا ألأسواق

والطرقات تفوح برائحة كريهة، وقد نظم أنصار الدخان. كما يذكر المؤرخ إبراهيم بجوي. أشعاراً سخيفة وانشدوها بدون مناسبة، ويضيف أنه فضلاً عن رائحته فأنه يجعل الملابس وسخة ويشعل الحريق في بعض ألأحيان في السجاجيد واللباد، كما ذكر انه مضر بالصحة إذ كما يقول يصعد بخارة إلى الدماغ بعد النوم واستعماله باستمرار يمنع الناس من العمل الشاق والاكتساب ويعوق الأيدي عن العمل(٦٠).

وكما في موضوع القهوة اختلف العلماء في شرب التبغ (الدخان) فقال بعضهم بتحريمه وذهب البعض إلى كراهيته وبعضهم أباحه، والذي حرمه نظر في حال شاربه، فهو يضر الجسم ويولد العلل فيكون شربه بمنزلة تحريم السم وكل ما تحقق ضرره فاستعماله حرام، أما من إباحة فاستند إلى انه دواء لبعض ألأمراض خاصة أمراض الرطوبة(٦١).

هذا الأمر جعل بعض سلاطين الدولة يتخذون موقفاً معادياً من الدخان لاسيما وإنهم رجحوا في موقفهم هذا اضرار التدخين التي جعلتهم يقفون بحزم ضده، وإذا كانت المصادر تشير إلى مراد الرابع على انه أول من قام بمنع الدخان إلا إن الدخان منع بعد سنوات قليلة من دخوله إلى الدولة العثمانية، إذ كان السلطان احمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧) قد منع تعاطي الدخان استناداً إلى فتوى شيخ الإسلام الذي أفتى ضده لأنه من الخبائث، وذكر إن أنصاره ثاروا على شيخ الاسلام لأنه لا يوجد تحريم للدخان في الكتاب والسنة ولم يرد فيه نص فأضطر إلى إلغاء فتواه(٦٢).

وقد أشار إبراهيم بك حليم إلى إن السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٣)، هو الذي تشدد في منع شرب الدخان والمسكرات لان أخلاق الأمة ساءت بسببهما كما يذكر، وأراد بذلك ضرب الانكشارية الذين أعلنوا العصيان والتمرد على عهده(٦٣). ومن الجدير بالذكر إن الانكشارية تسببوا في مقتل السلطان عثمان الثاني فيما عرف في التاريخ العثماني بأسم (هائلة عثمانية)(٦٤). وربما يكون هذا الأمر صحيحاً الأ إن ما اجتمعت عليه المصادر إن مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) هو الذي تشدد وفي ألأمر (التدخين والقهوة) ومهما يكن من أمر فأن المشكلة ولاسيما في بداية القرن السابع عشر ارتبطت في جانب من جوانبها بالأنكشارية

وأن كانت مرتبطة بها منذ عهد السلطان سليمان القانوني ألا أنه مع ضعف الدولة العثمانية وتسلط ألأنكشارية تفاقمت المشكلة وخاصة أنهم كانوا السواد ألأعظم ممن يرتاد والمقاهي ويتعاطون الدخان، ثم أنهم احتكروا تجارة البن ولاسيما أنها ذات مردود اقتصادي كبير، وكانت السوق الرئيسية التي يستورد منها العسكر البن هي مكة خاصة أثناء موسم الحج حيث يقوم العسكر المرافقين لقافلة الحج بشراء كميات كبيرة من هذه المادة بناء على طلب مرؤوسيهم أو لبيعها لحسابهم الخاص، يضاف إلى ذلك أن بعضهم كان يمتلك محلات لبيع مشروب القهوة (مقاهي)(٦٥).

ومن الطبيعي في هذه الفترة ترتبط مسألة الدخان في موضوع المقاهي لأنها أصبحت مركزاً لتجمع متعاطيهما معاً، فكان الناس يرتادون المقاهي لأحتساء القهوة والتدخين وسماع الموسيقى ولعب النرد (لعبة الطاولة) والشطرنج(٦٦).

ورغبة من السلطان مراد الرابع في قمع ألأنكشارية وضربهم لاسيما بعد حادثة مقتل السلطان عثمان الثاني فأنه أصدر أمراً بمنع التدخين وشرب القهوة وكان يخرج بنفسه متنكراً إلى أسواق استنبول لتأديب المتجاوزين، وقد استند في هذا ألأمر إلى فتوى من محمد أفندي قاضي زاده وكان ذلك في ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م(٦٧). وكان السلطان يأمر بعقوبات مشددة على من يتعاطى الدخان فكان يأمر بقطع شفتي مدمن التبغ وجدع انف من بتناوله صعوطاً عن طريق ألأنف وأحياناً تصل العقوبة إلى حد ألإعدام،فقد أشرف بنفسه على إعدام مجموعة من متعاطي التدخين في منطقة أزميد(٦٨). وكان الدافع المعلن لهذا المنع هو حماية استنبول من الحرائق، إذ كانت قد تعرضت عام ١٦٣٣ إلى حريق كبير بسبب النار التي ولدها التدخين فاحترق عدد كبير من مساكن المدينة، ألا أن الحقيقة إن المقاهي كانت مركزاً لتجمع ألأنكشارية والمداولة في السياسة بدلاً من قيامهم بالتدريب العسكري في ثكناتهم، فكان هدف السلطان إحاطة الدولة بجو من الإرهاب لأصحاب الفتن في الدولة بحجة منع القهوة والتبغ(٦٩). لاسيما إن المقاهي كانت مركز لتجمع هؤلاء، هذا المنع سرى على ولايات الدولة كلها واستمر مفعوله طوال عهد السلطان مراد الرابع، وبعد هذا المرسوم بسنة أي عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م يصدر أمراً أخر بإغلاق الحانات وحوانيت تناول المشروبات وحظر تناول النبيذ وكانت هذه

المحظورات موضع تطبيق صارم يسهر عليه السلطان شخصياً[٧٠]. وكل هذا كان هدفه إعادة النظام وقمع ألأنكشارية وقد نجح في ذلك إذ استطاع منع المتمردين وأصحاب الفتن كما أعاد الأمن والنظام واضعاً بذلك حداً للمتمردات ألأنكشارية. وقد أدى هذا المنع إلى ضربة لتجارة القهوة لاسيما صغار التجار الذين تعرضوا لضربات موجعة بسبب توقف أعمالهم بشكل مؤقت، لكن التجار الأثرياء ربما وجدوا طرقاً لجني ألأرباح من السوق السوداء[٧١]. ومن الجدير بالذكر انه في عهد السلطان مراد الرابع صدر أمر بأعداد وصف شامل لمدينة استنبول عام ١٠٤٨هـ /١٦٣٨م، فوجد هناك مطحنتين لطحن البن (القهوة)[٧٢].

استمر منع التدخين والقهوة إلى وفاة السلطان مراد الرابع وفي عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ – ١٦٨٧) أفتى شيخ ألإسلام محمد بهائي أفندي[٧٣]. وكان قد تولى منصب قاضي حلب عام ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م وعزله واليها احمد باشا (١٦٣٣– ١٦٣٥م) بسبب شرب الدخان ونفي إلى جزيرة قبرص عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م ثم عفي عنه أواخر سنة ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م وعاد إلى استنبول، وعندما تولى المشيخة عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م أصدر خلال فترة مشيخته ألأولى التي امتدت إلى ١٠٦٢هـ/١٦٥١م فتوى يبيح فيها التدخين وشرب القهوة الأمر الذي اعتبره علماء الشرع والمعارضين لذلك ضربة ضدهم فعملوا ضده في الخفاء الى ان عزل عن المشيخة[٧٤].

ألا أن مسألة القهوة والتدخين أصبحت شائعة بشكل كبير وبعد هذا التاريخ كانت المقاهي منتشرة في جميع أنحاء الدولة وهو ما أكدت عليه مصادر كثيرة تحدثت عن هذا ألأمر وعد وجود تلك المقاهي من ألأمور المباحة[٧٥].

وهكذا فأن أنصار التدخين والقهوة خاضوا سجالاً كبيراً من اجل إباحتها وقد نجحوا في ذلك وأصبحت المقاهي شائعة في كافة أنحاء الدولة العثمانية، كما إن وجودها عد من التغيرات ألاجتماعية والثقافية التي طرأت على المجتمع العثماني آنذاك.

الخاتمة

من خلال دراسة موضوع القهوة والدخان وما أحدثه عند ظهوره من مشكلة في الدولة العثمانية تبين إن مادة القهوة تحديداً التي روج لها ونشرها على وجه الخصوص علماء المسلمين ولاسيما المتصوفة، الذين وجدوها كما يقولون تعين على السهر والقيام، لذلك نشروها في كل من اليمن والحجاز ومصر وبلاد الشام لتمتد إلى الأناضول ثم العاصمة العثمانية استانبول

أول ما بدأت المشكلة في البلاد العربية في العهد المملوكي وامتدت حتى العهد العثماني، وأول من عارضها فقهاء المسلمين، ويبدوا أن هذا ألأمر انعكاس لحالة الصراع الفكري بين المذاهب والفرق ألإسلامية، لاسيما بين الصوفية وغيرهم

كان من نتائج ذلك إن حدثت تغيرات اجتماعية ثقافية تمثلت بظهور المقاهي التي غيرت إلى حد كبير الحياة الاجتماعية للمجتمع العثماني وجعلته اقل تشدد في النواحي الفقهية والعقائدية لاسيما من خلال ممارسة بعض ألأنشطة التي عدت من المحرمات على سبيل المثال المعازف والغناء وغيرها فضلاً عن إن المقاهي أصبحت نواد أدبية يرتادها الشعراء والأدباء لعرض نتاجاتهم الفكرية.

ارتبطت المقاهي بموضوع التدخين أيضاً إذ كانت مراكز لتجمع متعاطي التدخين ولازالت المقاهي تقدم ما يعرف بـ(النرجيلة). وهذا ألارتباط جاء متأخراً لتأخر ظهور التبغ في الدولة العثمانية حتى بداية القرن السابع عشر.

أخذت المشكلة في القرن السابع عشراً أبعاداً سياسية فضلاً عن أبعادها ألاجتماعية لاسيما وأنها ارتبطت بالأنكشارية الذين تسلطوا في فترة ضعف الدولة العثمانية وكانوا احد أدوات إثارة الفوضى والفتن في الدولة لذا عد منع التدخين والقهوة جانباً من الحرب على هؤلاء للحد من تسلطهم ونفوذهم لاسيما وإنهم كانوا من رواد المقاهي فضلاً عن ممارستهم أنشطة تجارية تتعلق بهاتين المادتين.

هوامش البحث:

(١) يذكر أن القهوة هي من أسماء الخمر عند العرب وسميت كذلك لأنها(تقهي) أي تقلل شهية شاربها للطعام ثم أصبحت تطلق على ما يشرب من ثمر (البن) وهو شجر باليمن، ينظر: أبو الحسين احمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (بيروت،٢٠٠١)، ص٨٣٦؛ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجلد ١٢، (بيروت،٢٠٠٣)، ص٢١٢

(٢) طلال المجذوب، تاريخ القهوة حقائق وطرائف، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد٢٤، السنة ٢، تشرين ألأول ١٩٨٠، ص٦٢. ومن الجدير بالذكر إن القهوة في اليمن هي المحصول الرئيس وهي ثروة الولاية في العهد العثماني وتحتل المرتبة ألأولى في تجارة الولاية، ينظر: يمن سالنامة سي، ولايت مطبعة،١٣١٣هـ، ص٤٠٣

(٣) ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، جـ٢، (بيروت، د. ت) ، ص٤٠ ؛ قصي الحسين، من معالم الحضارة العربية ألإسلامية، (بيروت، ١٩٩٣)، ص١٤٩

(٤) ينظر: ليونهارت راوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين ١٥٧٣م، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٨)، ص٨١.

(٥) يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، جـ١، (استنبول، ١٩٨٨)، ص٥١١؛ الحسين، المصدر السابق، ص ١٥٠ للتفاصيل عن سفارة سليمان اغا الى فرنسا ينظر:

Ahmed Refik Altin Ay, "Pariste Osmanli Sefirleri: I Muteferrika Suleyman Aga (1669-1670)", Turk Dunyasi Tarih Dergisi, Sayi, 112, Nisan, 1996, SS. 40-42.

(٦) محمد ألأرنأوؤط، بدايات انتشار القهوة والمقاهي في بلاد الشام الجنوبية، مجلة اليرموك، عدد ٣٥، عمان، ١٩٩٣، ص٣٣.

(7) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, (Leiden, 1978), pp. 50؛

سلامة موسى، حرية الفكر وابطالها في التاريخ، ط٤، (بيروت، ١٩٦٧)، ص١٢٢؛ المجذوب، المصدر السابق، ص٦٤. والطريقة الشاذلية تنسب إلى الشيخ أبو الحسن الشاذلي في تونس في القرن الثالث عشر الميلادي وعنه انتشرت في شمال أفريقيا ومصر ولها مريدين حتى اليوم وتفرع من هذه الطريقة خمسة عشر طريقة أخرى، عنها ينظر: محمود ألمراكبي، عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ط٣، (القاهرة،١٩٩٦)، ص ص١٢٥–١٢٩؛ ممدوح الزوبعي، الطرق الصوفية ظروف النشأة وطبيعة الدور، (دمشق،٢٠٠٤)، ص ص١٥٣–١٥٧.

(٨) موسى، حرية الفكر، ص١٢٣؛ المجذوب، المصدر السابق، ص٦٤

(٩) نجم الدين ألغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرئيل سليمان جبور، جـ١، (بيروت،١٩٤٥)، ص١١٤؛ الحسين، المصدر السابق، ص١٤٩. أما الشيخ العيدروس فهو من شيوخ الشاذلية وله كتاب سماه (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) ويذكر انه قدم من اليمن واستقر في دمشق وتوفي فيها، ينظر عنه: المصدر نفسه.

(10) The Encyclopaedia of Islam, p 450؛ ألأرنأوط، بدايات انتشار القهوة، ص٣١

(١١) برنارد لويس، استانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: سيد رضوان علي، (بيروت، د.ت)، ص١٣٨؛ احمد صدقي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ ألإسلام في العهد العثماني (١٤٢٥–١٩٢٢) (اربد، ٢٠٠٢)، ص٣٩٣

(12) Encyclopedia Britannica, vol.22, pp. 263-267

يذكر إن القبائل الأمريكية هي التي أطلقت عليه اسم (توباكو) وهي اسم لأنبوبة أو قصبة مجوفة استعملوها عند تنفسهم للدخان الناتج عن حرق أوراق نبات التبغ، وربما أخذه الأسبان الذين اكتشفوا القارة عنهم، ينظر: عبد القادر ياسين حسن، التبغ مكوناته وتأثيراته الجسدية، ضمن كتاب وباء التدخين وأضراره على صحة الفرد والمجتمع، مجموعة باحثين، (الموصل، ١٩٨٧)، ص١٣

(13) Encyclopedia Britannica, vol.5, pp. 298-299

(١٤) حسن، المصدر السابق، ص١٣

(١٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ص١٣-١٤

(١٦) لويس، المصدر السابق، ص١٣٩، هناك من يشير انه وصل على يد الهولنديين عام ١٠١٤هـ /١٦٠٥ ينظر: إبراهيم بن ميخائيل أفندي، مصباح الساري ونزهة القاري، (بيروت، ١٢٧٥هـ)، ص١٥١.

(١٧) محمد.م. ألأناؤوط، من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر والشام في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العدوان ٧١-٧٢، كانون الثاني_ حزيران ٢٠٠٠م، ص١٣٢

(١٨) المصدر نفسه، ص١٣٣.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٢٠) كان هذا الشخص من مشاهير العلماء لذا كان يسمى بشيخ ألإسلام وله تلاميذ أصبحوا شيوخاً للإسلام مثل ابن حمزة الدمشقي و بدرالدين ألغزي وابن السيوفي مفتي الديار الحلبية وشهاب الدين الرملي فقيه مصر وابن حجر الهيثمي مفتي الحجاز وعالمها وغيرهم. ينظر: ألغزي، المصدر السابق، جـ١، ص١٩٩.

(٢١) محي الدين عبدالقادر بن الشيخ عبدالوهاب العيدروسي، تاريخ النور السافر في أخبار القرن العاشر،تصحيح وضبط: محمد رشيد الصفار، (بغداد، ١٩٣٤)، ص٢٦٠

(٢٢) ينظر: ألغزي، المصدر السابق، جـ١، ص ص٢١٩-٢٢٠.

(٢٣) ينظر: ألأرناؤوط، بدايات انتشار القهوة، ص٣١

(٢٤) ينظر تفاصيل عنه في: العيدروسي، المصدر السابق، ص١٩٢ وما بعدها.

(٢٥) ينظر عنه: المصدر السابق، ص٤٣٣

(٢٦) ينظر: المصدر السابق.

(٢٧) ينظر عن ترجمته ورأيه في القهوة في: المصدر السابق، ص ص١٣٤–١٣٥.

(٢٨) وهو من علماء مكة ولد ونشأ فيها ودرس المعقول والمنقول وكثير من العلوم واشتهر بالسند العالي في الحديث ومن شيوخه محمد بن زكريا الأنصاري (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م) سافر إلى الهند وأقام بها وله أشعار كثيرة في القهوة وأباحتها، ينظر: المصدر السابق، ص٣٦٤–٣٦٧.

(٢٩) ينظر من ترجمته في: المصدر السابق، ص ص٤١٤–٤٣١.

(٣٠) بن عبد الحق هو الشيخ جمال الدين بن عبد الحق العقيلي المالكي (ت٩٩٣هـ/١٥٨٥م) وهو من المؤيدين لرأي الشيخ محمد بن عراق في منع تعاطي القهوة، ينظر عنه: المصدر السابق، ص ٤٣٢.

(٣١) بنظر ترجمته لدى: العيدروسي، المصدر السابق، ص ص١٩٤–١٩٥؛ ألغزي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص١٩٨–١٩٩.

(٣٢) العيدروسي، المصدر السابق، ص ص١٩٦–١٩٧.

(٣٣) ينظر عنه: الحنبلي، المصدر السابق، جـ١٠، ص٤٠٢

(٣٤) الأرناؤوط، من التاريخ الثقافي للقهوة، ص١٣٩.

(٣٥) ينظر: موسى، حرية الفكر، ص ص١٢٥–١٢٦؛ سلامة موسى، مختارات سلامة موسى، (مصر، د.ت)، ص١٥٨.

(٣٦) ينظر عنه: محمد أبو السرور البكري، المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية تحقيق: ليلى الصباغ، (دمشق، ١٩٩٥)، ص٦٣؛ سيد محمد السيد، مصر في العهد العثماني في القرن السادس عشر دراسة وثائقية في النظم ألإدارية والقضائية والمالية والعسكرية (القاهرة، ١٩٩٧)، ص١٥٠. يذكر أن هذا الوالي تم استدعاءه إلى استنبول مخافة إن يكون قد أحدث ضرائب جديدة تضر بالبلاد، ينظر: عمر الأ سكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص٧٥

(٣٧) دامت ولايته أكثر من١٢ سنة ساد فيها ألأمن في البلاد وقطع دابر الفساد، وقرب أرباب العلم والفقه وأحسن أليهم وحرص على مجالستهم، ينظر عنه: السيد، المصدر السابق، ص١٥١.

(٣٨) موسى، مختارات، ص١٥٨؛ المجذوب، المصدر السابق، ص٦٥

(٣٩) الحنبلي، المصدر السابق، جـ٨، ص٢٤٨.

(٤٠) ينظر: ألغزي، المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٩.

(٤١) الحنبلي، المصدر السابق، جـ١٠، ص٤٠٤.

(٤٢) البوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دمشق، د.ت)، جـ١، ص ص٢٤٩–٢٥٥.

(٤٣) الشيخ ابن سلطان الدمشقي: مفتي بلاد الشام ولي قضاء القاهرة على عهد السلطان ألغوري وله مصنفات عديدة في الفقه وله رسالة بتحريم ألأفيون وأخرى بتحريم القهوة. ينظرعنه: الحنبلي، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٤ أما الشيخ يونس العيثاوي: وهو شيخ الإسلام في عصره تتلمذ على كبار شيوخ عصره وكان شاعراً فقيهاً خطيباً، وله مؤلفات عديدة منها رسالة في تحريم القهوة، ينظر عنه: ألغزي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص٢٢٢–٢٢٣.

(٤٤) موسى،حرية الفكر، ص١٢٦

(٤٥) هو الشيخ محمد الحسيني (ت٩٦٣هـ/١٥٥٥م)، عمل مدرساً في مدارس الدولة العثمانية وترقى في التدريس حتى أصبح مدرساً في مدرسة الفاتح باستنبول تولى قضاء حلب ودمشق عام (١٥٤٣–١٥٥٤)، ينظر عنه: ألغزي، المصدر السابق،جـ٢، ص ص٣٩–٤٠.

(٤٦) أبو السعود بن محمد ألآمدي نسبة إلى آمد بديار بكر، فقيه عثماني من اصل كردي من اشهر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية وظل كذلك ثلاثين سنة وهو من اكبر أعوان

السلطان سليمان القانوني إذا اعتمد على فتاويه طيلة حياته للمزيد عنه ينظر: شمس الدين سامي،سجل عثماني ياخوذ ترجمة مشاهير عثمانية، (استانبول، ١٣٠٨هـ) التنجي جلد، ص ص١٦٩–١٧٠؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، جـ٦، (استانبول، ١٩٥٥)، ص ص٢٥٣–٢٥٤؛ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مادة (أبو السعود)، ص٣٤٨.

(٤٧) شقيرات، المصدر السابق، جـ١، ص٣٩٣–٣٩٤؛ عماد عبد العزيز يوسف وماهر حامد جاسم، دور شيوخ الإسلام في اتخاذ القرار في الدولة العثمانية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية مجلد ٦، العدد٢، الموصل، ٢٠٠٧، ص٣٢٨.

(48) Uriel Heyd, Ottoman Documents on Palestine (1552-1615), (London، 1960), pp. 160-161؛

وينظر: احمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني (١٥١٦–١٦٤٠) دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير، كلية ألآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص١٢٠

(٤٩) اللوندات، جمع (لوتد) وهي تحريف عن الكلمة ألإيطالية اللفانتينو **Levantino** وقد أطلقت على سلك البحارة في ألأسطول العثماني وكان هؤلاء يعيلون أنفسهم من العمليات الر ضد السفن ألأجنبية، ويذكر جب أنهم كانوا على جانب كبير من سوء النظام لذا استبدلوا بقوات أخرى تسمى (العزب) ومن ثم أطلقت هذه التسمية على الجنود في المدن والقلاع ولاسيما حرس الوالي، ثم أطلقت على المسلحين والأشقياء بشكل عام، ينظر: هاملتون جب وهارولد بون، المجتمع ألإسلامي والغرب، ترجمة: احمد عبد الرحيم مصطفى، جـ١، (مصر، ١٩٧١)، ص ص١٤٢–١٤٣.

(٥٠) وهو قائد عثماني ولد في البوسنة على ألأرجح عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، عمل ست سنوات رئيساً لحلاقي السلطان سليمان القانوني ثم عين عام ١٥٥٦م مربياً للأمير سليم بن سليمان وتولى منصب والي لولايات عديدة ومنها ولاية دمشق، وقائداً للجيش العثماني

المرسل إلى اليمن في ٩٧٧هـ /١٥٦٩م توفي ٩٨٨هـ/١٥٨٧م،عن للتفاصيل عنه ينظر:

Stanford Shaw, History of The ottoman Empire and Modren Turkey, vol.1, (combridge,1976), pp.180-181؛

تميم مأمون مردم بك، الملك قانصوه ألغوري ألاشرف والوزير لالا مصطفى باشا ذي السيف الاحنف، ط٢، (دمشق، ٢٠٠٨)، ص ص٣٠٦ وما بعدها

(٥١) ينظر: ألغزي، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٧؛ مردم بك، المصدر السابق، ص ص٣٩٣-٣٩٤.

(٥٢) ينظر: ألأرناؤوط، بدايات انتشار القهوة والمقاهي، ص٣٢

(٥٣) من الجدير بالذكر أن المساجد لم تكن دوراً للعبادة فقط وإنما مراكز ثقافية تعليمية

(٥٤) ينظر: لويس، المصدر السابق، ص١٣٨

(٥٥) شقيرات، المصدر السابق، جـ١، ص٣٩٤

(٥٦) ينظر: ألأرناؤوط، بدايات انتشار القهوة، ص١٤٠.

(٥٧) ينظر: شقيرات، المصدر السابق، جـ١، ص٤٣٢؛ يوسف وجاسم، المصدر السابق، ص٢٣٨

(58) Heyd, op. Cit., pp.161-162

(٥٩) لويس، المصدر السابق، ص ص١٣٨-١٣٩

(٦٠) المصدر السابق، ص ص١٣٩-١٤٠

(٦١) احمد جودت، تاريخ جودت، المجلد الأول، ترجمة: عبد القادر الدنا، (بيروت، ١٣٠٨هـ)، ص ٥٤ ؛ وينظر: أياد حسن الرمضاني، الإسلام والتدخين، ضمن كتاب وباء التدخين وأضراره...، ص ص١٠٤-١٠٦

(٦٢) شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق: حسن ألسماحي سويدان، (بيروت، ٢٠٠١)، ص٢١٣؛ إبراهيم أفندي، المصدر السابق، ص١٥١. لم نجد اسم الشخص الذي أصدر هذه الفتوى وبالعودة إلى شقيرات وجدنا هناك ثلاث أشخاص تولوا منصب مشيحة الإسلام على عهد احمد الأول، ولم نجد في ترجماتهم ما يشير إلى إصدارهم هذه الفتوى، وهؤلاء هم: صنع الله أفندي (١٥٥٢–١٦١٢م) ومحمد أفندي خواجة سعد الدين أفندي زاده (١٥٦٨–١٦١٥) أبو الميامن مصطفى أفندي (١٥٤٦–١٦٠٦) ومحمد اسعد أفندي خواجة سعد الدين أفندي زادة (١٥٧٠–١٦٢٥)، ينظر: شقيرات، المصدر السابق، جـ١، ص ص٤٤٦–٤٦٧

(٦٣) إبراهيم بك حلم، تاريخ الدولة العثمانية المعروف بالتحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية (بيروت، د.ت)، ص١٧١.

(٦٤) للتفاصيل عن تمرد ألأنكشارية ضد السلطان عثمان الثاني ينظر:

Mustafa Ozden, "Yenicerilik isyanlari ve Vaka-l Hayriye", Turk Dunyasi Tarih Dergisi, Sayi, 109, Ocak, 1996, ss36-37؛

نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، ألاتجاهات ألإصلاحية في الدولة العثمانية ١٦٢٣–١٧٨٩، أطروحة دكتوراه كلية ألآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ص٨٧–٨٨

(٦٥) نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، (بيروت، ١٩٨١)، ص ص١٨٩–١٩١

(٦٦) دونالد كواترت، الدولة العثمانية ١٧٠٠–١٩٢٢م، ترجمة: ايمن ألأرمنازي، (الرياض، ٢٠٠٤)، ص٢٨٤

(٦٧) ينظر: عبد الرحمن شرف، تاريخ دولت عثمانية، جلد٢، (استنبول، ١٣١٨هـ)، ص٣٥؛

Ismail Hakki Uzuçar§ili, Osmangi Tarihi, Cilt, III, Kisim, 2, Baski. 4, Ankara, 1988) S.58؛ Yasar yücel ve Ali Sevim, Türkiye Tarihi. III, Osmanli Donemi (1566-1730), (Ankra, 1991), S.77

لم نجد في المصنف الذي أعده شقيرات حول مشايخ الإسلام ترجمة (محمد أفندي قاضي زادة، وقد تولى عدد من مشايخ الإسلام على عهد مراد الرابع وهم كلاً من يحيى أفنـدي زكريـا (١٦٢٢–١٦٢٣م) (١٦٢٥–١٦٣٢م) (١٦٣٤–١٦٤٤م)، محمـد اسـعد (١٦٢٣–١٦٢٥) حسـين أفنـدي زادة (١٦٣٢–١٦٣٤م) ينظـر: شـقيرات، المصدر السابق، جـ١، ص ص٤٦٨–٤٨٣

(٦٨) الرمضاني، المصدر السابق، ص٨٩؛ صالح حسين عبدالله الجبوري، السلطان مراد الرابع ١٦٢٣–١٦٤٠، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠٠٠)، ص١٠٠

(٦٩) ينظر: لويس، المصدر السابق، ص١٤٠؛ اوزتوتا، المصدر السابق، ص٤٧٢.

(٧٠) روبير مانتران، الدولة العثمانية في القرن السابع عشر اتجاه إلى الاستقرار أم انحدار، ضمن كتاب تاريخ الدولة العثمانية (إشراف) روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، جـ١، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص٣٥٦.

(٧١) ثريا فاروقي، بروس ماك غوان و دونالد كواترت وشوكت باموك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، المجلد الثاني ١٦٠٠–١٩١٤ (تحرير) خليل اينالجك، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص١٦٨

(٧٢) لويس، المصدر السابق، ص١١٩.

(٧٣) هو محمد بهائي بن عبد العزيز بن محمد سعد الدين الفلسطيني المولد والمنشأ هـ الأصفهاني الأصل المعروف بـ بهائي الرومي (١٥٩٥–١٦٥٤م)، بنظر ترجمته في ثريا، المصدر السابق،جلد٢، ص٢٨؛ محمد أمين فضل الله المجي، خلاصة ألأثر في اعيان القرن الحادي عشر، جـ٤ (مصر، ١٨٦٧م)، ص ص٦–٩؛ شقيرات، المصدر السابق، ص ص٥٠٢–٥٠٧.

(٧٤) شقيرات، المصدر السابق، ص ص٥٠٣–٥٠٧.

(٧٥) ينظر: ادهم إلدم ودانيال غوفمان وبروس ماسترز، المدينة العثمانية في الشرق والغرب (حلب، أزمير، استنبول) تعريب: رلى ذبيان، (الرياض، ٢٠٠٤)، ص ص٨٩،٤٣٣.